



أوراق بحثية في الفكر الاقتصادي

د. مظهر محمد صالح *: الاكاديمية الاقتصادية: (من الاحادية النظرية الى التعددية الفكرية) **

لم تنفك كاثي ويلسن طالبة الدراسات العليا في جامعة مانشستر بإنكلترا من ان تطلق صرختها الهادئة قبل انتهاء الدرس الاول في النظرية الاقتصادية بوجه استاذها أندريه مايكل في خريف عام 2008 وهي تقول له: ويحك ايها الرجل وانت انهيت الدرس الاول والجميع في دوامة من الانفعالات لا تقوى المدرسة النيو كلاسيكية في الاقتصاد وصرامة افكارها الارثوذكسية في برهنة توازن الاسواق الحرة ودوام استقرارها، ونحن نغرق في بحر الوجد والامل والاستقرار، واسواق المال تنهار الواحدة تلو الاخرى لنتفتح تاريخاً مليئاً بالمتاعب والخسائر والمحن في وقت دبت فيه البطالة في اسواق العمل من مانشستر وحتى شيكاغو؛ وان القوى العاملة تدفع مبالغ جسيمة من فرص ضائعة اقتضتها اجراءات التقشف حتى يتحقق لهم نوع من التوازن يكفل لهم ادنى مراتب الحياة.

واردفت كاثي قائلة: لم ابرح قاعة الدرس قبل ان توضح لنا كيف اخذت الانهيارات المالية العالمية تسري كالهشيم في النار وهي تلتهم ثروات الامم الواحدة بعد الاخرى بلهيب الافلاس المشتعل؛ و لم تستطع المدرسة النيو كلاسيكية بكل تنافسيتها وعقلانيتها من ان تطفئ الخسائر بعد ان انهارت التوازنات السعرية في اسواق رأس المال على الصعيد العالمي. وواصلت حديثها قائلة أيضاً: استاذ أندريه انت تتحدث عن مبدأ (ليون فالراس) في توازن اسواق المال والسلع والعمل في حين ان الثلاثة هم في انهيار تام .

ففي خضم ذلك الجدل الاكاديمي المشتعل اسست قوى طلابية معارضة للمدرسة النيو كلاسيكية في مانشستر في حزيران 2013 جمعية اقتصادية اطلق عليها أسم (جمعية العلوم الاقتصادية لما بعد الانهيار) وقد اوضحت الجمعية الطلابية الاقتصادية المذكورة في ديباجة اهدافها مؤكدة ان المناهج التعليمية الجامعية النيو كلاسيكية لا تتضمن سوى القليل من التعليم حول كيفية حدوث الازمة الاقتصادية ووسائل الحذر منها؛ اذ تقوم المدرسة النيو كلاسيكية على فكرة



أوراق بحثية في الفكر الاقتصادي

قوامها: ان تلاقي العرض مع الطلب يقوم على عقلانية مطلقة للأفراد وقابليتهم في تعظيم الربح في جانب العرض وتعظيم المنفعة في جانب الطلب. وان العلوم الرياضية ومعادلاتها التحليلية هي جوهر ما تذهب اليه هذه المدرسة من ادوات لبلوغ غاياتها في الكفاءة الاقتصادية والاستقرار والتوازن.

وعلى صعيد متصل، حث اساتذة جامعيون، وهم من الفريق المناصر للاحتجاجات الطلابية في رسالة نشرتها صحيفة الغارديان البريطانية بتاريخ 18 تشرين الثاني 2013، حثوا الوسط الجامعي للتصدي صراحة الى نواقص المذهب النيو كلاسيكي في الاقتصاد الذي وصفوه بـ (الثقافة الاحادية الارثوذكسية) التي تأتي بالضد من التنوع الفكري .

ووصفوا تلك الاحادية الثقافية بـ (التزمت الفكري الديماغوجي) الامر الذي زاد من الضغط على الادارات الجامعية العليا بغية اصلاح الفصول الدراسية الاقتصادية التي ظلت تهيمن عليها فكرة نظرية الاسواق الحرة التوازنية التي تهمل اثار الازمة المالية. اذ اشار اساتذة كبار من جامعتي كمبردج وليدز الى صندوق التعليم العالي البريطاني للبحوث متهمين القائمين عليه بانه يمول نمطاً محدداً من البحوث الاقتصادية التي تتماشى والنظرية النيو كلاسيكية وتعادي التفكير الذي يبتعد عن الاحادية الثقافية ويتجه نحو التعددية الفكرية.

كما ان اساتذة كباراً آخرين امثال روبرت شيلر الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد والاستاذ ستول هيمر من جامعة كنغستون، اشاروا صراحة بان الطلبة المتخرجين من حقول الاقتصاد يحصلون على درجة البكالوريوس وهم لا يعلمون شيئاً عن النظرية الكينزية (نسبة لعالم الاقتصاد جون مينارد كينز) او نظرية راس المال لكارل ماركس او نظرية هيمن منسكي العالم البارع في تفسير الازمات المالية والذي كان من اشد المعارضين لمبدأ الغاء النظم الرقابية على الاسواق المالية التي جاءت بها الليبرالية الجديدة ابان ثمانينات القرن الماضي.

كما أكد اساتذة الاقتصاد المتضامنون مع مبدأ التنوع الفكري، الذي قادتته جمعية العلوم الاقتصادية لما بعد الانهيار لطلاب جامعة مانشستر، بان معظم خريجي الجامعات الانكلوسكسونية يتخرجون وهم لا يفقهون شيئاً عن الكساد العظيم الذي ضرب العالم في العام 1929 .



أوراق بحثية في الفكر الاقتصادي

ففي العام 2014 عقدت الخزانة البريطانية مؤتمراً تناولت فيه مشكلات تعليم العلوم الاقتصادية في الجامعات البريطانية وأكدت ضرورة تدريس تاريخ الفكر الاقتصادي ابتداءً من ذلك العام وعده جزءاً لا يتجزأ من التعددية الفكرية؛ ولاحظ الاستاذ روبرت شيلر ان ثمة اخطاء في تدريس مواد الاقتصاد التي تقوم على مبدأ الاسواق التنافسية كما ترى النظرية النيو كلاسيكية، اذ ان هناك معتقد بان الباعة والمشتريين لديهم معلومات كافية عن مخاطر ارتفاع اسعار الموجودات خارج حدود استقرارها الطويل الاجل وكأنما المستثمرون يحملون في عقولهم اجهزة محوسبة عملاقة تعينهم على معرفة تحركات السوق وهو امر مناف للواقع حقاً. يقول استاذ الاقتصاد السلوكي في معهد ماساتوشيتس للتكنولوجيا (اندرو لو) بكتابه الموسوم (الاسواق المتكيفة: والتطور المالي بسرعة الافكار) الصادر في العام 2017 من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الاميركية، مؤكداً ان التطور لا يمتلك نهاية للعبة في اي مذهب اقتصادي.

كما ينصرف اندرو لو في كتابه آنفاً قائلاً: بانه بذل قصارى جهده من اجل تغيير علم الاقتصاد وابعاده عن التفكير الضيق متهماً في الوقت نفسه المدرسة النيو كلاسيكية كقوة أرثوذكسية منزمنة مقلدة لعلم (الفيزياء) ما ساعدها الاخير في بناء النماذج الرياضية الدقيقة بدلاً من دراسة العالم الحقيقي بأشكاله كافة.

ويقترح اندرو لوبانه أن الأوان في التركيز على العلوم (البيولوجية) حيث ينطلق اندرو لو من ملاحظة اساسية مفادها بان الجنس البشري هو ليس بتلك القوة التي تمتلك حواسيب فائقة العقلانية (كما تدعي نظرية الخيار العقلاني النيو كلاسيكية) لكي ترهن نفسها الى بعض النماذج الرياضية واعتمادها في التحليل الاقتصادي لبلوغ التوازن المنشود بين العرض والطلب . ونتيجة لذلك فان الاسواق هي ليست كفوءة حتى النهاية في تحديد الاسعار بالدقة وعلى وفق المعلومات المتاحة كافة كما يقال.

فذلك فان نظرية الاسواق المتكيفة هي مستمدة من التجربة التي تظهر كيف يصنع الجنس البشري قراراته؟ وعلى اساس السلوك النفسي وهو ما يعبر عنه بعلم الاقتصاد السلوكي الذي



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK

www.iraqieconomists.net

أوراق بحثية في الفكر الاقتصادي

هو مزيج بين علم النفس وعلم الاقتصاد و يمثل الصورة المرئية للتعددية الفكرية في علم الاقتصاد المعاصر.

فتحقيق الربح على سبيل المثال في مدرسة الاقتصاد السلوكي هي اقرب من رجل قد جرت معالجته من الادمان على المخدرات؛ اما الخسارة فهي اقرب في تأثيرها السلوكي على الجنس البشري وتصرفاته كمن يسير بين مواد عضوية منفسخة عفنة .

ختاماً، في العام 1984 كانت المدرسة النيو كلاسيكية في اوج عظمتها ابان ولادة عصر العولمة والليبرالية الجديدة، فبعد ان امضينا أكثر من ساعة ونصف مع استاذ الاقتصاد الجزئي السيد روب وهو يجري حلوياً رياضية شاقة على لوحة الكتابة (في قاعة المحاضرات في واحدة من الجامعات الكندية) لبلوغ السعر التوازني لسلمة ما. وقد انتهى الدرس وبلغنا السعر التوازني للسلمة المذكورة ولكن النتيجة ان السعر التوازني المذكور كان يحمل اشارة سالبة .

هنا توقف زميلي كيم ، طالب الدراسات العليا من كوريا الجنوبية، وسأل الاستاذ روب قائلاً له: كيف يتحقق السعر التوازني للسلمة وان الاشارة سالبة؟ اجابه الاستاذ روب : ما عليك الا ان تقبل الحقيقة النيو كلاسيكية في توازن السعر.. واخرس!!.

(*) باحث ومفكر اقتصادي أكاديمي ومستشار مالي واقتصادي لرئاسة الوزراء العراقية.

(**) 19نشر هذا البحث بتاريخ 2017/6/19 في موقع الحوار المتمدن وترى هيئة تحرير موقع الشبكة أهمية بإعادة النشر. حقوق النشر لهذه النسخة المحررة محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين, 18 اذار 2024

<http://iraqieconomists.net/ar/>